**كلمة و"تمني" في رحيل مار نصرالله بطرس صفير**

**16 أيار 2019.**

**16 أيار 2019 يوم في الشهر المريمي،جرت خلاله مراسم جنازة البطريرك الكاردينال الراحل الكبير مار نصرالله بطرس صفير،ووداعه الأخير الذي شارك فيه كل لبنان والعالم،ولأجل الصدف هذا التاريخ "16 أيار"من عام 1989 تمَّ فيه إغتيال قامة وطنية دينية هو مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد،الذي ما زالت ذكراه حية رغم مرور 30 عاماً على الإغتيال. رحم الله الكبيرين الراحلين،وليبقى لبنان سيداً حراً مستقلاً،مقاوماً كل أنواع السيطرة عليه أو وضع اليد من أية جهة كانت. لبنان وطن الأرز والعيش الواحد وهذا ما جسّدته مواقف كل من الراحلين. تبقى كلمة أود أن أدونها للتاريخ وللأجيال القادمة،في هذا اليوم ،يوم الوداع الأخير للبطريرك صفير،الذي آثر الإنكفاء عام 2010 وترك سدة بطريركية بكركي،وإلتزم الصمت العميق طيلة السنوات التسع التي سبقت رحيله اليوم.لقد قرأت وسمعت كل ما قيل عن هذا الكبير من بلادي،وبكل تواضع أقول جميع تلك المواقف قد لامست توصيف مزايا وشخصية هذا الإنسان،التي تعجز عن توصيفها الكلمات،لأنه تبقى هناك خصائل لا يُدركها إلاّ الله العلي القدير. تجربتي مع سيد بكركي لم تكن عابرة لكنها أيضاً لم تكن بصورة متواصلة،إذ قُدِّرَ لي التواصل مع هذه الهامة الوطنية،في معرض خدمتي في قوى الأمن الداخلي،لا سيما أثناء زياراته الى منطقة الشمال،ومواكبته في تنقلاته من بشري الى قضاء الضنية الى قضاء البترون خلال زياراته الرعوية وتدشينه للكنائس في تلك المناطق.رجل دين في مستواه لا يمكن إلاً أن تكون مستعداً لِما قد يطرحه عليك من إسئلة وإستيضاحات،إن تلك المتعلقة بالزيارة،أم التي تتعداها الى رؤية الواقع على الأرض في حينه. آخر تواصل لي معه جرى عندما كنت قد تركت خدمتي في قوى الأمن الداخلي وذلك عام 2006 على أثر حرب تموز المُدمرة،يومها تلقيت إتصالاً من صديقي "العميد عبدالله بن ناصر آل ثانٍ" من قطر – حالياً هو رئيس مجلس الوزراء في دولة قطر - والذي بادرني بالقول: سعادة العميد أنا أجلس بقرب سمو ولي العهد الأمير تميم،وهو يسلم عليك، ويطلب منك أن تتصل برؤوساء الطوائف المسيحية في لبنان وأنت الأدرى بذلك،وإبلاغهم رغبة صاحب السمو بأنه سيتحمل كلفة ترميم كافة الأديرة والمؤسسات الدينية التي لحقت بها الأضرار من جراء القصف الأسرائيلي وفي كل المناطق اللبنانية،مهما بلغت التكاليف. الحقيقة أنني تفاجأت يومها بهذا الطلب،وعندما شعرَ محدثي بأنني مُربك،تمنى عليَّ بحكم الصداقة أن أقوم بهذه المهمة،لأنه أبلغ صاحب السمو بأنني قادر على ذلك ولثقته بشخصي،ويمكنني الأتصال بكل رؤوساء الطوائف. نزلت عند رغبة الصديق وتمنيات صاحب السمو،وبدأت أولاً بأول مع البطريرك هزيم رئيس طائفتنا،الذي أثنى على هذه المبادرة، - حيث ترميم دير سيدة ميماس في الجنوب يشهد على ذلك - وتابعت الاتصالات مع سيد بكركي الذي كان يومها في الديمان،من خلال الصديق المطران المرحوم "البيسري" صاحب الوجه المبتسم والضحكة العفوية،يومها شعرت بأن طلب الموعد قد تأخر تحديده،ولأن سمو الأمير كان على عجل من أمره ويريد الموافقة على مبادرته بأسرع وقت،قمت بتكرار الإتصال بالمطران بيسري،وألححت عليه بضرورة لقاء سيدنا صفير،وأتبعت إتصالي بمزحة محببة مني إذ قلت للمطران بيسري،"أنا ارثوذكسي أطلب موعد مع سيد بكركي الماروني لأنقل له رغبة ولي عهد دولة قطر "السني" لترميم الكنائس المارونية" فضحك يومها المطران بيسري،وحُدِّدَ الموعد في اليوم التالي. وفي اللقاء رحب بي كأرثوذكسي في رحاب الديمان،لأن هذا المقر هو لكل اللبنانيين،وذلك مع بسمة خفية – إذ على ما يبدو قد أبلغه المطران بيسري ما قلته له - . وهكذا في المناسبات اللاحقة كان يناديني مع بسمة بـ"الارثوذكسي". وأذكر آخر لقاء لي معه،في صيف 2017. عند عقد قران أبن صديقي وأخي الشيخ دونالد روي جوزيف عبد،الشيخ ريمون عبد في بكركي،وقد حضر عقد القران ليبارك العروسين،دون أن يشارك في الصلاة،وقد لاحظت أنه قد نسيني،فأقتربت منه يومها وقلت له أنا العميد المتقاعد أمين صليبا،وعندما شعرت أن ذاكرته تخونه،قلت له أنا الأرثوذكسي،فتذكر وضحك وربتّ على كتفي. في ختام هذه المقالة،لا بُدَّ لي من التطرق الى غصة تمتلكني وهي غصة مزدوجة،الأولى بسبب الرحيل – وهذا حق على كل أنسان – أما الثانية فهي أعمق وأقسى،لأنني لمست ويا للأسف أن اللبنانيين وتحديداً المسيحيين منهم لم يعملوا بما أوصى به غبطة الراحل،لجهة ضرورة الحفاظ على تماسكهم وولائهم الوطني، والترفع عن الشخصانية وعن الخصوصيات وما أكثرها،لأنه من دون هذا التماسك وهذا الترفع،لبنان سيبقى في عين العاصفة. علينا واجب ليس فقط تذكر مواقف الراحل الكبير ووصاياه،بل علينا العمل بروحية فكره ورؤيته للبنان وطن الجميع،هذا التمني خلفياته، وبكل أسف، ناتجة عن رصدي لعدة تباينات في مواقف اللبنانيين المسيحيين في الأيام الثلاثة التي سبقت التشييع، تنم عن عدم الاتعاظ بما كان يتمناه غبطته للمسيحيين ولكل اللبنانيين،راجياً من الله أن يعمل كل اللبنانيين بوصية الراحل الكبير لكي يبقى لبنان.**

**البروفسور أمين عاطف صليبا.**